المقتطف

الجزء العاشر من المجلد الثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ شعبان سنة ١٣٢٣

مقام المعلّم

خطبة للمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة

اصدق وصف ينطبق على المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية انهُ جنديٌّ حاكم . والتاريخ شاهد ان الجنود اذا حكموا نبغوا واشتهروا من الاسكندر الكبير الى قلب الاسد وصلاح الدين فقردرك الكبير فنابليون الاول . والرئيس روزفلت جنديٌّ باسل خدم بلادهُ في الحرب الاهلية وتجمَّل بفضائل الجنود ولم تصمهُ نقائصهم فلما القيت اليهِ مقاليد الامور في الولايات المتحدة تجلت فيهِ تلك الفضائل على اكملها فكان مثالاً يحتذى وقدوة تتبع في استقامة السيرة وطيب السريرة وحرية الضمير وطهارة الذمة . ومن حسن حظهِ انهُ في امة تعرف اقدار الرجال فلذلك ترىٰ قومهُ يكادون يؤلهونهُ لا سيما وانهُ جعل الولايات المتحدة محط انظار الدول وصاحبة الكلمة المسموعة في مجامع السياسة الخارجية . ولسوف يذكر العالم بالشكر سعيهُ في مصالحة الروس واليابانيين ما دام في الناس قلب يخفق ولسان ينطق

على ان اعظم ما اشتهر بهِ غيرتهُ على شؤون بلادهِ الداخلية ودأبهُ في ترقيتها من عال الى اعلى ونقلها من حسن الى احسن . وقد خطب حديثاً خطبة شائقة في التعليم والتهذيب على اعضاء جمعية المعلمين الوطنية اخترنا تلخيصها اظهاراً لفضل الرجل وعلمهِ وغيرتهِ لعلَّ فيها لناعبرة . قال :

انكم ايها الاساتذة اخص جماعة جمهورية في بلاد جمهورية لانكم تجتمعون وتتذاكرون وتتباحثون كالاكفاء من كل وجهٍ وكلكم ساعٍ في تربية الناشئة من الصبيان والبنات ليكونوا رجال الامة ونساءها

وليس كثيراً ان يقال ان من اخص اعمال الجمهورية ما يعملهُ المعلمون المهذبون . فانهُ مهما تكن عيوبنا — ولا ننكر ان فينا بعض العيوب — فقد ادركنا حق الادراك اننا

لا نستطيع ان نقوم بما يجب علينا في الحكم على انفسنا بانفسنا ما لم تكن عقولنا مستنيرة واخلاقنا مهذبة . وانتم ايها المعلمون ان لم تحسنوا القيام بعملكم فان اجل هذه الجمهورية ينقضي في جيل . فقد خدمتم هذه البلاد وهذه الجمهورية اجل خدمة وذلك بتعليمكم الاولاد الذين يولدون هنا والذين يأتون الينا من اطراف الارض النائية على اختلاف بلدانهم وجعلكم اياهم جسماً واحداً وهذه خدمة جوهرية للجمهورية لا يقدر ثمنها . وزدتم على ذلك انكم وحيتم عقول الطلبة المختلفي الشعوب والاجناس الى وجهة واحدة حتى يمتزجوا معاً ويصيروا امة واحدة

وما من منكر ان الفضل الأعظم في صيرورتنا نحن اهل هذه الجمهورية الاميركية العظمى شعباً واحداً متحداً بدلاً من ان نكون مجموع شعوب متنافرة عائد عليكم وعلى مساعيكم . وان التلامذة الذين يتعلمون في مدارسنا العمومية سواء ولدوا هم وآباؤهم هنا او في الخارج يشربون في قلوبهم الحب والاحترام المتبادلين اللذين لابدّ لنا منهما في حل القضايا التي امام امتنا

ولكم خدمة اخرى جديرة بالذكر ولا غنى لنا عنها . في بلادنا هذه حيث تنزّل الثروة فوق منزلتها الحقيقية نحن مديونون اعظم دين لهذه الجمعية التي تستبدل هذا المطلب المادي اي جمع الثروة بمطلب ادبي اسمى واكمل وهو حب العمل الشريف لمجرّد كونهِ عملاً شريفاً . ولست انكر البتة ان الغنى الماديّ لازم لتمدننا ولكنني اقول انهُ اذا كان تمدننا لا يبني على اساس الغنى صرحاً ادبيًّا مشيداً لم نعدّ في مصاف الامم العظيمة فالمال لازم للامة لزومهُ للافراد وما من عمل اراهُ الزم من زيادة المال للعلمين لاصلاح حالهم ماديًّا جزاء ما لهم من الفضل على الامة

ومما يزيد خدمتكم قدراً ورفعة شان انكم تُظهرون بسيرتكم ان الغاية الادبية التي تتوخونها جديرة بما تبذلون عليها من التعب وانكم تهتمون اعظم اهتمام بعمل كلّ ما من شأنهِ ان يعود بالخير على بني وطنكم ولو لم يكن منهُ ربح مادي لكم . وسيرتكم هذه اكبر خدمة تخدمون بها ابناء وطنكم لان الضرر الاعظم الذي يجلبهُ ارباب الثروة الواسعة على الامة هو ان نجاحهم يضع نصب العيون مثالاً فاسداً لا يصحّ النسج على منوالهِ . فاذا لم نبالغ في الحفاوة بالغني الذي لا ميزة لهُ الاَّ غناهُ لم يبقَ لهُ شأن يذكر بيننا ولا سلطة علينا . ولئلا تسيئوا فهم مقالي اقول ان الغنيّ الذي أعنيهِ انما هو الرجل الذي لا همّ لهُ الاَّ مالهُ لا الرجل الذي ينفق مالهُ في وجوهٍ ويعدّهُ وسيلة لا غاية . اما الاغنياء الذين ينفعون بلادهم بغناهم فيستحقون الاكرام مثل سائر الانام . واذا اصابنا ضرر من الاغنياء فاللوم علينا غالباً لا عليهم لان ضررهم ينحصر بالاكثر في اثارة حسدنا وتذمرنا . اما في معاملاتهم فهم اقرب الى النفع منهم الى الضرر

ويحق لكل احد ان يتقي ضرر الضارين منهم ولكن لا يحق ولا يجوز لاحد ان يذم الاغنياء لمجرّد كونهم اغنياء. لا تنسوا ذلك ايها الاساتذة فانهُ لا يجوز ذم الغني لانهُ غني كما لا يجوز ذم الفقير لانهُ فقير. والرجل الذي يحملهُ الغنى على البطر هو الرجل الذي لو بقي فقيرًا لحملهُ الفقر على الحسد والضغينة. والامران صحيحان على حدٍّ سوى

الرجل الذي يرى غيرهُ اصلح منهُ حالاً فيحسدهُ ويكرههُ هو الرجل الذي لو اغتنى نساء سلوكهُ وبطر وعتا واضرَّ بغيرهِ. والذي يحسد الغني ويكرههُ لانهُ غني يعرب عن سخافة وخللٍ في عقلهِ وعن انهُ يكون عبدًا ذليلاً للمال ما دام لغيرهِ وسيدًا عاتيًا اذا صار المال لهُ. وهذه الاخلاق اي البغضة والتذلل والعتو والحسد من قبيل واحد لانها ناتجة عن خطإٍ في قدر الغني فوق قدرهِ كثيرًا

ثم ان قيامة العامة على الاغنياء وهزَّ الجرائد بهم وسوء سلوك الاغنياء الذين يستحقون بحقوق غيرهم لا علاقة لها بعضها ببعض في الظاهر ولكنها في الحقيقة ناشئة عن عيوب واحدة في جوهرها. واحد تلك العيوب عدم توجيه الاذهان الى غاية حميدة. والامة التي لها غاية حميدة تربي اليها وترفع اقدار الرجال الذين يسعون في بلوغها لا ترى بينها من يضع الغني في غير موضعهِ او يرفع قدر الغني اكثر مما يستحق

وهذا العيب انما يصلح على ايديكم وايدي الاساتذة اخوانكم المنتشرين في جميع اطراف البلاد. فالواجب عليكم ان تبينوا بعلمكم وعملكم معًا انكم ان كنتم تعدون الغني امرًا حسنًا فانكم تعدُّون غيرهُ احسن منهُ. نعم ان من اللازم الذي لا انفكاك عنهُ ان يحصّل المرء شيئًا من المال يكفي لهُ وللذين هم عالة عليهِ ولكن السعي وراء المال اذا تجاوز حدَّ الكفاف انحطَّ عن المطالب الشريفة والغايات السامية

وتاريخ الامة الاميركية مملوء باسماء الرجال العظام مثل وشنطون ولنكن وغرانت وفرغوت وهوثرن وبوفلتن وسمورس وسنت غودنس ومكونس مشاهير القواد والكتّاب والمصورين والنجاتين والعلماء والمخترعين والمكتشفين والمهندسين والمحسنين وقادة الافكار وكل الذين اشتهروا في مطلب من المطالب المختلفة ولا يذكر بينهم من الاغنياء الاَّ الذين استخدموا مالهم في طرقهِ المشروعة ووجوههِ النافعة وعدوهُ وسيلة لا غاية واحسنوا التصرف في كسبهِ وانفاقهِ

طوبى لكم لانكم أُعطيتم ان تقودوا النفوس وترشدوها الى الغايات النبيلة ولانكم تبثّون بعلمكم وعملكم في عقول رجال الجيل المقبل ونسائهِ ما يُعرَف بهِ مقام ذلك الجيل في تاريخ الانسان

واريد في الختام ان اذكر امورًا حدثت في الاسبوع الماضي امورًا تؤيد ما قلتهُ لكم من

انهُ ينبغي ان يكون في البلاد اناس يفضّلون المطالب السامية على اكتساب الثروة . ففي الاسبوع الماضي فقدت هذه البلاد رجلاً من كبار ساستها ومن نوابغ رجال القلم فيها رجلاً كان لهُ مقام غريب انفرد بهِ بيننا . رجلاً يحقّ لكلٍّ منا ان يفتخر بهِ لانا كنا استفدنا منهُ والولايات المتحدة كلها صارت احسن مما كانت لان جون هاي عاش فيها . انتظم هذا الرجل في خدمة الحكومة وهو شاب وجُعل سكرتيراً للرئيس لنكن وكان لنكن يثق بهِ و يعتمد عليهِ ثم تقلّب في مناصب كثيرة وكان من مزاياهُ انهُ كان يعتزل الخدمة دائماً حينما لا يستطيع ان يجري فيها على حسب رغبتهِ . وظلّ يتقلب في المناصب التي خدم بها وطنهُ الى ان بلغ اسماها فصار وزيراً وتربّع في الوزارة ست سنوات في عهد رئيسين فانالـــ هذه الجمهورية احترام امم الارض بما فعلهُ وما كان عليهِ . وهذه الخدمة لا يستطيعها الاَّ رجل امامهُ مطالب سامية تبعد عن كل ما يشين بُعْد المشرق عن المغرب

ولقد اردتُ ان يخلف جون هاي الرجل الذي احسب انهُ خير خلَف لخير سلف ولما طلبت منهُ ان يقبل هذا المنصب كنت كن يطلب منهُ ان يتجاوز عن ربحهِ المالي الوافر ولكنني لم افكّر بذلك ولا هو فكّر بهِ ايضاً لاني كنت اعلم انهُ مهما كان المانع الذي يمنع اليهو روت عن قبول الوزارة فلا يكون الخسارة المالية التي يخسرها لو قبل الوزارة فاجاب طلبي وقبلها

ولا اتكلّم عن هاي وروت كانهما فردان لا مثيل لهما في هذه البلاد كلاَّ بل هما مثال لاناس كثيرين من اقرانهما فاذا سمعنا الانتقاد على رجال الحكومة الانتقاد الذي اقول بأسف انهُ في محلهِ غالباً وجب علينا ان نتذكر ايضاً ان لهذه الصورة وجهاً آخر وان في اميركا الآن كما في كل زمان وعندما تلمّ الملمات وتشتدّ الخطوب رجال ادارة من الطراز الاول لا يضنّون بشيء في سبيل النفع العام ولو خسروا بذلك خسارة مالية لا تقدّر . وليس بين وزرائي الآن مَن لم يخسر مالياً بانتظامهِ في سلك الوزارة وما من احد منهم الاَّ وقد خسر شيئاً يعزّ عليهِ لكي يبقى في خدمة امتهِ وليس لهُ الاَّ جزاء واحد ينتظرهُ او يعبأ بهِ وهو الشعور الداخلي بانهُ خدم بلادهُ وعمل ما يستحق ان يُعمَل

وارجو ان تزيد الرغبة في خدمة الامة في البلاد كلها حتى يسهل على كل احد ان يضحي مصلحتهُ الخصوصية لاجل المصلحة العمومية سواء كان في خدمة الحكومة او في غيرها من الاعمال لان الذين ليسوا في خدمة الحكومة قد ينفعون قومهم اكثر من الذين في خدمتها . وليكن النفع العام خير ما تجدى اليهِ الركاب وما يتوخاهُ كل انسان رجلاً كان او امرأة في هذا العصر وفي كل العصور وفعلهُ هو الجزاء وهو الفخر لمن يفعلهُ